التنمية الذاتية للمجتمعات المحلية:
طريقٌ للمستقبل

أ.د. حامد الموصلى

أستاذ بكلية الهندسة، جامعة عين شمس

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للتنمية الذاتية
للمجتمعات المحلية

التنمية الذاتية للمجتمعات المحلية:
طريقٌ للمستقبل

أ.د. حامد الموصلى

أستاذ بكلية الهندسة، جامعة عين شمس

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للتنمية الذاتية
للمجتمعات المحلية

التنمية الذاتية للمجتمعات المحلية:

طريقٌ للمستقبل – أ. د. حامد الموصلي

القاهرة – 2017

رقم الإيداع: 21669/ 2017

الترقيم الدولي: 978 - 977 – 751 – 353 – 1

روافد للنشر والتوزيع

القاهرة ج. م. ع

+2 01222235071

rwafead@gmail.com

www.rwafead.com

تصميم الغلاف: نور إسلام

الملخص

إننى مدين للعمل الميدانى الذى استطعت من خلاله بلورة فكرة التنمية الذاتية كمرتكز تنموي لمجتمعاتنا المحلية، والمجتمع المحلى هو الوحدة البنيوية المكونة للمجتمع القومى شأنه شأن الخلية بالنسبة لجسم الإنسان، أي أن صحة أو متانة بنيان المجتمع المحلى ضمانٌ هامٌ لصحة ومتانة بنيان المجتمع القومى، والمجتمع المحلى كفكرة: هى محاولة للبحث عن التفرد الذى يبدأ بالجماعة فى نسقها البيئى وينتهى بالفرد نفسه باعتباره عضوًا للجماعة وفاعلًا مؤثرًا فى بناء –وإعادة بناء– مجتمعه المحلى. ومن الزاوية الاقتصادية فالمجتمع المحلى يمثل ساحة التقاء وتفاعل بين دوائر إنتاج الموارد وأنشطة التصنيع وكذلك أنشطة الاستهلاك والاستخدام: وربط هذه الدوائر الثلاث على المستوى المحلى يمكن أن يولّد مجالًا خصبًا لإبداع أساليب حياة ومنتجات وخدمات جديدة ومتفردة وأكثر توافقًا مع التنمية المستدامة والتوصُّل إلى رؤى علمية وتكنولوجيات جديدة تتواءم مع

السياق المحلى وكذلك توفير العمل المبدع لأبناء المجتمعات المحلية.

ولكل مجتمع محلى إمكانات تنموية تتمثل فى قيم خاصة به هى بمثابة شفرة للتكيف مع المحيط الحيوى المميز للمجتمع المحلى ومعادلة نفسية للحياة فى ظروف هذا المجتمع، كما تتمثل هذه الإمكانات فى شبكات من العلاقات الاجتماعية وبنى تنظيمية فاعلة وكذلك معرفة تقليدية وتراثًا تقنيًا حصيلة تراكم عبر آلاف السنين للتفاعل مع المحيط الحيوى مع أجل إشباع الحاجات الأساسية وكذلك الموارد المحلية التى يتميز بها كل مجتمع محلى.

وتهب الموارد المحلية ميزات تنموية للمجتمع المحلى تتمثل فى توافرها محليًا وبعدها عن التقلبات فى الأسعار فى الأسواق القومية والعالمية، كما تتميز الموارد المحلية بوجود ألفة نفسية وثقافة موروثة عبر الأجيال مما ييسر نقل ثقافة صناعية جديدة للأجيال الشابة، كما تتميز الموارد المحلية بأنها ناتج أنشطة أولية (الزراعة والرعي والتعدين، الخ) مما يُوفر لها عنصر المرونة السعرية عن طريق التوسع

فى الأنشطة الأولية المُنتِجة لها، بالإضافة إلى أن الموارد المحلية تحمل بصمة النسق الأيكولوجى المحلى مما يتيح الاستفادة من التفرد الأيكولوجى كميزة تنافسية للأنشطة الاقتصادية التى تقوم عليها.

وينطلق مفهوم التنمية الذاتية من النظر إلى المجتمع المحلى باعتباره كائنًا حيًا يحمل مقومات نموه ذاتيًا ويتمتع بهوية متفردة ويتحلى بملامح وقسمات تهبه طابعًا خاصًا وتميزه عن غيره من المجتمعات المحلية، وجوهر التنمية الذاتية يتمثل فى مساعدة كل مجتمع محلى على تجديد ثقافته والتعبير عن نفسه وتأكيد قيمه الخاصة واكتشاف أشكال جديدة للتعبير عنها وإطلاق الطاقات الكامنة والقدرات الذاتية لدى الجماعة المحلية للتجدد والارتقاء وتوفير أفضل الظروف لاستمرار هذه التفاعلات.

وتتمثل معالم الطريق لتفعيل التنمية الذاتية للمجتمعات المحلية فى تسجيل التراث التقنى للمجتمعات المحلية كخطوة أولى لتوليد اتجاهات متميزة للفكر والخيال وبالتالى الإبداع التنموي على المستوى القومى والعالمى وكذلك

إعادة القيمة أو إنصاف العديد من عناصر الطابع المحلى فى المسكن والملبس والأثاث والمأكل، الخ، مما يسمح بإعادة اكتشاف الموارد المحلية وبلورة طبعة معاصرة لاستخدامها لتلبية حاجات الإنسانية على المستوى المحلى والقومى والإقليمى، بل والعالمى، كما تشير معالم الطريق إلى ضرورة التخلى عن التلقى السلبى لثمار إبداع الآخرين فى صورة سلع وأساليب جاهزة للحياة والاستهلاك والإنتاج وللحلول الجاهزة الواردة من الخارج والتحول إلى تمكين أبناء المجتمعات المحلية تنظيميًا وعلميًا وتكنولوجيًا كي يكونوا منتجين ومبدعين وقادرين على توليد حلول مبتكرة لإشباع حاجاتهم الأساسية وكذلك الاستفادة من الفرص المتاحة للاستجابة لطلبات سوقية على المستوى القومى والإقليمى والعالمى. وتعرض الورقة منهجية للتعامل التنموى مع الموارد المحلية ونماذجًا لمشروعات تم تطبيقها فى الواقع المصرى.

1. مقدمة

إننى فى الواقع مدين للعمل الميدانى الذى استطعت من خلاله –عبر تفاعلى مع أطياف البنى الاجتماعية الحضارية للمجتمعات المحلية وكذلك أطياف الإمكانات الذاتية التي تحوزها– أن أبلور فكرة التنمية الذاتية Endogenous development كمرتكز تنموى لمجتمعاتنا المحلية.

ففى أحد دراساتى الميدانية فى الساحل الشمالى الغربى كان مرافقى من أبناء المنطقة عمره 17 سنة لا يعرف القراءة أو الكتابة، لكنه كان على دراية مذهلة ببيئة المنطقة: كان يعرف أسماء النباتات الصحراوية والتى لم يعرف بعضها، زميلى ومرافقى: أستاذ مساعد فى الزراعة، وكان هذا الشاب يعرف استخداماتها المختلفة فى العلاج وكذلك الحيوانات الموجودة فى المنطقة وأساليب اقتناصها وكذلك الخصائص الجولوجية للمنطقة والعمق التقريبى الذى يوجد عليه الماء، والأساليب المحلية لحفر الآبار وإقامة السدود: كان هذا الشاب على دراية واسعة بالكثير

من المعارف العلمية والتكنولوجية عن بيئته لا يعرفها أي خريج جامعة فى التخصصات المناظرة، وفى دراسة أخرى فى الساحل الشمالى الغربى أحصيت 9 أطباق مختلفة يصنعها البدو من الشعير: الذى يزرع محليًا على مياه المطر وتطحنه النساء باستخدام الرحى وعندما كنت أرى أكياس دقيق المعونة الأمريكى تنقلها العربات الكارو للقرى البدوية كنت أشعر بخطورة هذه الأكياس: لأنها كانت تمثل دعوة للراحة وترك العمل: الزراعة البعلية وطحن الدقيق والاعتماد على المعونة الجاهزة من الخارج والأهم من ذلك: أنها كانت دعوة للانخلاع عن البيئة والهوية المحلية، كانت تلك البدايات التي دفعتنى للاهتمام بفكرة التنمية الذاتية.

2. المجتمع المحلى كنطقة انطلاق لإعادة بناء المجتمع المصرى

2-1 تعريف

المجتمع المحلى هو الوحدة البنيوية المكوِّنة للمجتمع القومى شأنه شأن الخلية بالنسبة لجسم الإنسان أو اللَّبِنة بالنسبة للبناء –مع عدم إغفال التنوع بطبيعة الحال– أي أن صحة أو متانة بنيان المجتمع المحلى ضمان هام لصحة ومتانة بنيان المجتمع القومى .

والمجتمع القومى يضم تنوعًا بالغ الثراء من الظروف الإيكولوجية والبنى الاجتماعية الحضارية والخبرات التاريخية المختلفة ويتكون بالتالى من الآلاف –وربما عشرات الآلاف– من المجتمعات المحلية التى لها بمعنى ما "روح" وهوية وسمات مميّزة.

وحتى إن لم تبدو للمجتمع المحلى هوية واضحة فإنه من واجبنا أن نساعده على بلورة هويته من خلال مساعدته على صياغة مجال حيوى تنموى يتميز به ذلك المجتمع المحلى دون سواه وذلك من خلال الإبداع، الإبداع

المرتكز على الإمكانات الذاتية للمجتمع المحلى –حتى وإن كانت كامنة– كآلية مهمة لدعم –أو بعث– هوية المجتمع المحلى وإعطائه بالتالى الفرصة للمشاركة المبدعة فى التنمية على المستوى القومى .

2-2 المجتمع المحلى كفكرة

والمجتمع المحلى كفكرة: هى محاولة للبحث عن التفرُّد الذى يبدأ بالجماعة فى نسقها البيئى وينتهى بالفرد نفسه، فالمجتمع المحلى كنسق نصف مغلق ومرن فى تكوينه وحجمه يتيح للفرد ساحة للتفاعل النفسى – الاجتماعى فى حدود طاقته على التواصل والتفاعل والعمل والمشاركة الإيجابية فى بناء –وإعادة بناء– مجتمعه وكذلك فى حدود قدرته على أن يرى ويلمس ويدرك ناتج تفاعله وعمله فيستطيع بالتالى أن يصحح رؤيته ويعدِّل مسار عمله فيدخل فى دائرة جديدة للتفاعل وهكذا، إنها دائرة النية والعمل وناتج العمل تنغلق على مستوى المجتمع المحلى، مما يتيح للفرد بالتالى أن يدخل فى دائرة جديدة من التغير والتغيير خلال تفاعله فى إطار هذه الدائرة، معنى هذا أن

النمو غير المحكوم للمجتمع المحلى يمكن أن يؤدي إلى القضاء على الدور الحي والمتجدد للفرد فى بناء وإعادة بناء ذاته ومجتمعه المحلى، **ويطرح هذا بدوره قضيتين:**

1 - أهمية التفكير فى كيفية وصل المجتمع المحلى بالدوائر الأوسع للانتماء: قوميًا وإقليميًا بل وعالميًا بحيث تتحقق الوحدة على المستويات الأكبر دون التضحية بحيوية وصحة المجتمع المحلى وبالتالى أعضائه: أي الأفراد.

2 - الطاقة الاستيعابية للمجتمع المحلى لتقبل عوامل تأثير خارجية: والمحك هنا أن هذه العوامل يتوجب أن تكون بمستطاع المجتمع المحلى أن يهضمها ويتمثلها ويتقوى بها، فإذا خرجت هذه المؤثرات عن قدرة المجتمع المحلى على الهضم والتمثل فإنها تتحول إلى عوامل هدم لوحدة وبنية المجتمع المحلى.

3-2 المجتمع المحلى من الزاوية الاقتصادية

والمجتمع المحلى بالتالى يمكن أن يمثل ساحة التقاء وتفاعل (شكل (1)) بين الموارد المحلية وأنشطة التصنيع والإنتاج وكذلك أنشطة الاستهلاك والاستخدام وربط هذه

الدوائر الثلاث: إنتاج الموارد والتصنيع والاستهلاك على المستوى المحلى يمكن أن يولد مجالًا خصبًا :

- لإبداع أساليب حياة ومنتجات وخدمات جديدة ومتفردة أكثر توافقًا مع التنمية المستدامة.
- التوصل إلى رؤى علمية وتكنولوجيات جديدة تتوائم تنمويًا مع السياق المحلى.
- توفير العمل المنتج والمبدع لأبناء المجتمعات المحلية .

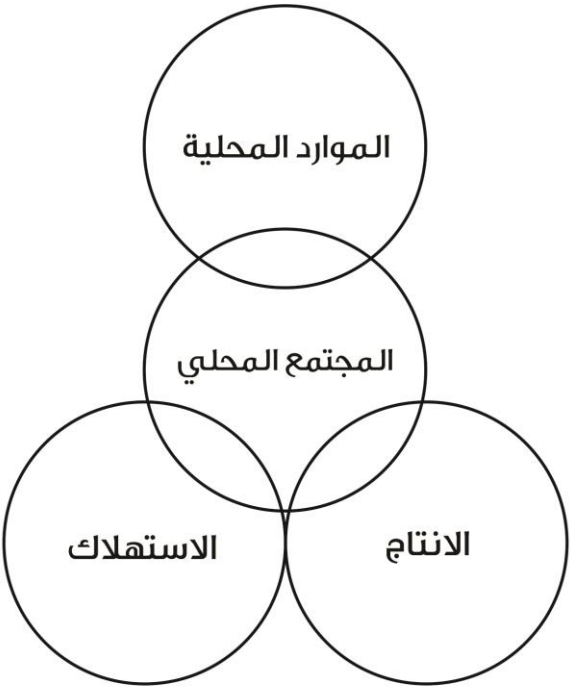

شكل (1): المجتمع المحلي: نقطة التقاء الموارد المحلية والإنتاج والإستهلاك.

4-2 الإمكانات التنموية للمجتمع المحلى

لكل مجتمع محلى إمكانات تنموية بالمعنى الواسع المتجاوز للنظرة الاقتصادية، وأقصد بهذه الامكانات ما يلي:

2-4-1 مجموعة من القيم الخاصة بالمجتمع المحلى والتى تمثل فى مجملها الشفرة الخاصة بنمط التكيف Mode of adaptation والذي يتبناه هذا المجتمع مع المحيط الحيوي ومع العالم "الخارجى" بالنسبة له والتى تمثل فى مجملها نوعًا من المعادلة النفسية التى تجعل من أسلوب الحياة (الإنتاج والاستهلاك فى ظروف هذا المجتمع أمرًا مقبولًا بل مرغوبًا مهما بدا غير مقبول أو مرغوب لمجتمعات محلية أخرى والتي بفضلها يتحقق التوازن النفسى والأمان والاستمرار.

2-4-2 شبكات من العلاقات الاجتماعية وبنى تنظيمية (العائلة الممتدة – العائلات الكبيرة – القبائل، الخ) فاعلة تدعم القدرة على الحياة والعمل بصورة جماعية وعلى ممارسة درجة عالية من

الضبط الاجتماعى على الأفراد وعلى التسيير الذاتى فى كافة شئون الحياة (نموذج عائلة الفواخرية بالعريش على سبيل المثال والتى تملك أسطولًا من سيارات النقل الكبيرة، مرسيدس يضم 400 سيارة!)، والتجسيد الواقعى لمفهوم الجماعية: توفر إمكانية تكثيف الجهد والقدرة عن طريق تكافل وتضامن جماعة بشرية معينة، وقبل الثورة الصناعية كانت الجماعية أحد أهم أسباب البقاء نظرًا للاعتماد على الجهد البشرى فى كافة شئون الحياة، وحتى بعد الثورة العلمية والتكنولوجية والثورة فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لم يزل للجماعية دور مهم فى مواجهة الأزمات والمواقف الطارئة (المرض، الوفاة، النزاعات، الخ)، والانعكاس النفسى لمفهوم الجماعية: شعور كل فرد أنه الجماعة وتوحده بها المرتكز على يقينه بأن الجماعة سوف تكون معه عندما يحتاج إليها وأنه سوف يلبى نداءها إذا لزم الأمر.

2-4-3 معرفة واسعة عن المحيط الحيوى (الغطاء النباتى الطبيعى والموارد التعدينية المتوفرة ومصادر المياه، الخ) وعن الاستخدامات المختلفة لمكوناته المختلفة فى سياق المجتمع المحلى والتى تراكمت عبر آلاف السنين من التفاعل مع المحيط الحيوى من أجل إشباع الحاجات الأساسية فى المأكل والملبس والمسكن، الخ والتى يكتسبها أبناء المجتمع المحلى بحكم انتمائهم إلى –ومعايشتهم لـ– مجتمعهم المحلى.

2-4-4 مدى بالغ الاتساع من المهارات والخبرات التقنية التى يمكن أن يُستفاد منها فى تنمية مجالات صناعية جديدة تمثل تطويرًا لهذه المهارات والخبرات (نجاح صناعة المعدات الزراعية الحديثة لدى العائلات التى تميزت فى خبرة حدادة الفؤوس والمحاريث وكذلك نجاح العائلات التى تميزت فى نجارة السواقى فى صناعات الأثاث والباب والشباك فى محافظة البحيرة على سبيل المثال).

2-4-5 أوعية الادخار المحلى وأموال الزكاة والصدقات التى يمكن أن توظف فى قيام مشروعات زراعية صناعية تجارية توفر فرص عمل لأبناء المجتمع المحلى.

2-4-6 الموارد المحلية والتى تمثل أحد أهم عناصر التميُّز: على المستوى المحلى والقومى: فالموارد المحلية هى ذلك الوعاء المادى الحامل للمخزون الثقافى لكل حضارة، فحضارات العالم المختلفة قد ظهرت ونمت وازدهرت فى صحبة موارد محلية مختلفة: من منا لا يدرك الصلة بين الحضارة المصرية القديمة وبين نبات البردى وزهرة اللوتس والحجر الجيرى والالباستر والجرانيت مثلا؟ أو بين الحضارة العربية والنخيل أو بين الحضارات الآسيوية وبين الغاب Bamboo والخيزران Rattan ونبات الأرز؟ يعنى ذلك أن خصوصية كل حضارة تعبر عن نفسها من خلال خبرات متميزة فى التعامل مع موارد محلية معينة : سواء من ناحية إنتاج هذه

الموارد أو تصنيعها وصولًا إلى تصميم وإنتاج منتجات نهائية منها، أى أن الذاكرة الحضارية لكل أمة تتضمن تراثا تقنيا Technical heritage يمثل تراكمًا لخلاصة خبرة الأجيال المتعاقبة فى التعامل مع كل مورد اصطحبته تلك الأمة خلال مسيرتها التاريخية. إن إدراك الصلة الحضارية بالموارد المحلية له صلة قوية بقضية التنمية لأنه يعنى أنك عندما تربط التنمية بالموارد المحلية فإنك تبنى على ثقافة موجودة بالفعل للتعامل مع هذه الموارد: أي أنك لا تبدأ التنمية من الصفر أبدًا : بل تبدأ بما فى أيدى الناس –أبناء كل مجتمع محلى– من موارد وكذلك بما فى وجدانهم من ألفة نفسية بهذه الموارد وما هو مختزن فى خيالهم وفكرهم من تراث تقنى مرتبط بإنتاجها وتصنيعها واستخدامها فى شتى المجالات.

3. ميزات الموارد المحلية

3-1 التوافر محليًا: ابتداءً من أصغر وحدة عمرانية كالقرية أو الحى وصولًا لمستوى المركز أو المدينة أو حتى المحافظة مما يعطى ضمانًا لاستمرار الإنتاج وما يوفر تكلفة نقل الموارد من أماكن بعيدة، وتزداد هذه الميزة كلما كانت هذه الموارد خفيفة الكثافة Low bulk density مثل قش الأرز أو ثقيلة الوزن كالرمال، مما يجعل من المكلِّف نقلها لمسافات بعيدة، وتصل هذه الميزة إلى القمة لتلك الموارد القابلة للتلف Perishable (بعض الخضروات كالطماطم أو الفاكهة كالفراولة، الخ) والتى تتعرض للفساد إن لم تصنَّع فى موقع إنتاجها.

3-2 البعد عن تقلبات السوق القومى والعالمى مما يوفر بالتالى إمكانية التحكم فى تكلفة أو سعر المنتج وما ييسر بالتالى التسويق، وتصل هذه الميزة إلى قمتها فى أسواق القرى (الأسواق الدوارة Rotating

markets) والتى يتم فيها البيع والشراء أقرب ما يمكن بروح المقايضة[1].

3-3 عندما تَبْنِى التنمية على الموارد المحلية فإنك لا تبدأ من الصفر أبدًا: بل بالرصيد الثقافى المتراكم لدى المجتمع المحلى عن هذه الموارد: بدءًا من الألفة النفسية وكذلك التراث التقنى المرتبط بإنتاجها وتصنيعها واستخدامها فى شتى المجالات: فتصنيع الجريد أسهل من تصنيع الحديد لأن الجريد مورد الأجداد وهناك العديد من التقنيات المحلية للتعامل مع الجريد التى يمكن أن تبنى عليها، فالألفة النفسية الموروثة عبر الأجيال بجريد النخيل فى الواحات الداخلة وفى الفيوم سهّلت جدًا نقل

[1] – الأسواق الدوارة هى مول Mall الفلاح والأسلوب السائد فيها: المقايضة عبر النقد والإنتاج المحلى هو السائد: من الخضروات للعطارة للفاكهة للدواجن للماشية للمكرونة المنزلية للصابون للملابس للأدوات الزراعية، والمستورد نادر حتى من الصين وهى تمثل أحد الأدوات الصامتة لمقاومة العولمة، وفى أسوان تعقد هذه الأسواق يوميًا فيما عدا الجمعة والأحد فى دائرة لا تزيد عن 30 كيلو مترًا! (من دراسة ميدانية للباحث).

ثقافة الصناعة –أو الصناعة كثقافة– لأبناء وبنات الداخلة والفيوم عبر خراطة جريد النخيل –بديلًا لخشب الزان المستورد– لإنتاج منتجات المشربية (الأرابيسك) على مخارط صممت وصنعت خصيصًا لهذا الغرض.

فلقد انتقلت مفاهيم التشغيل Machining

ودقة الشكل الهندسى Geometric form

والقياس Measurement وضبط الجودة Quality Control

بسهولة لأبناء وبنات قرى الجديدة والإعلام لأن ثقافة التعامل مع جريد النخيل كانت موجودة بالفعل: نحن فتحنا أو أتحنا مجالًا جديدًا فحسب لتفعيل هذه الثقافة أي أن تقبُّل خراطة الجريد بالتأكيد أسهل من خراطة الزان أو الحديد حيث أنها موارد ليس لها ثقافة أو تراث تقنى لدى المجتمع المحلى.

4-3 الموارد المحلية هى ناتج لنشاط أساسي: كالزراعة (الموارد النباتية) أو الرعي وإنتاج الدواجن وصيد وتربية الأسماك (الموارد الحيوانية) أو التعدين

(الموارد التعدينية كالمعادن والأحجار) مما يُنشئ علاقة حفز متبادل بين أنشطة تصنيع واستخدام هذه الموارد وبين الأنشطة الأساسية المنتجة لها مما يحقق :

- مرونة فى سعر الموارد عن طريق حفز أو تنشيط التوسع فى إنتاجها مما يفيد اقتصاديات تلك المشروعات مستقبلا .
- ارتباط أنشطة التصنيع والاستخدام بالتنمية الشاملة المجتمع المحلى (زراعة + صناعة + تجارة أو رعي + صناعة + تجارة) مما يسهم فى الارتقاء بالمجتمع المحلى ككل.

5-3 الكثير من الموارد المحلية تحمل بصمة النسق الإيكولوجى المحلى مما يتيح الاستفادة من التفرد الإيكولوجى لبيئتنا –أو بيئاتنا– الطبيعية استراتيجيًا كميزة تنافسية وما يتيح إمكانية التسويق عالميًا، فإذا أضيف إلى بعد التفرد الإيكولوجى التفرد الثقافى تعظم الميزة التنافسية، وهناك مواقع عالمية

ترحب بتسويق المنتجات الطبيعية المنتجة مباشرة بواسطة أبناء المجتمع المحلى مثل Fair trade.net .

6-3 يمثل تصنيع واستخدام الموارد المحلية ساحة مهمة للغاية للتدريب على الاعتماد على النفس والتنمية الذاتية وذلك من خلال بلورة نماذج للفعل تبدأ من المستوى التحتى Grass root level وصولا للمستوى القومى – الإقليمى:

- فالبدء بالموارد المحلية يعنى البدء بالجماعة المحلية حيثما وجدت والنظر إليها باعتبارها نسقًا إجتماعيًا –حضاريًا– بيئيًا مفتوحًا وباعتبارها اللبنة الحقيقية الحية للمجتمع القومى – الإقليمى والنظر إليها ككيان له هوية متميزة وإرادة وقدرة على الفعل المستقل نسبيا، فالمجتمع المحلى –كذات– له طاقاته الكامنة أو الفاعلة وقدراته المتميزة: والتنمية يمكن أن تبدأ "هنا والآن" فى أي مجتمع محلى بإطلاق الطاقات الكامنة والقدرات الذاتية على التجدد

والارتقاء وتوفير أفضل الظروف لاستمرار التفاعلات الإيجابية داخل المجتمع المحلى وبين الجماعات والمؤسسات الأخرى خارجه.

- يعنى تصنيع الموارد المحلية فى الإطار السابق: الاعتراف بالتنوع باعتباره أمرًا طبيعيا وسمة من سمات الجماعات المحلية : والتنوع هنا هو نتاج لتباين الظروف البيئية (المناخ والمعطيات الجيولوجية والغطاء النباتى) واختلاف الخبرة التاريخية عبر آلاف السنين والذى يجعل من كل مجتمع محلى وعاءً وبوتقةً لتفاعلات اجتماعية حضارية – بيئية خاصة تنعكس تراكماتها على البناء القيمى المميز لكل جماعة محلية وشبكات علاقاتها الاجتماعية وأطر المعرفة وطرائق الفعل السائدة بها ونمط الاستهلاك الخ. وبهذا المعنى فالتنوع ليس نقيضًا أبدًا للوحدة القومية أو الإقليمية بل هو الأساس للوحدة الحقيقية التى تفتح المجال للمشاركة الحقيقية للجميع (لكل الناس) فى

التنمية، بل وصياغة عقد اجتماعى جديد مع الدولة. والتنوع هكذا مصدر لإثراء التجربة التنموية على المستوى القومى والإقليمى بل والعالمى وهو يوفر الفرص للتجديد والإبداع الحضارى: الإبداع الذى لا يقتصر على القلة المثقفة المنعزلة، بل الإبداع كجزء لا يتجزأ من الممارسة الاجتماعية للجميع -بما فيهم الإنسان العادى باعتباره فاعلا حضاريا- أي أن التنوع هنا يفتح الطريق لديمقراطية أو ثورة الإبداع.

- تصنيع الموارد المحلية يعنى أن ننظر بأعيننا نحن لمواردنا نحن لمصلحتنا نحن: وهذا ينشئ طلبًا حقيقيًا على التكنولوجيا: كقدرة وكنشاط: فتصنيع الموارد المحلية يعنى البدء من المورد نفسه: اكتشافه أو إعادة اكتشافه من الناحية العلمية والتعرف على خواصه الطبيعية والميكانيكية من أجل التوصل إلى أفضل سبل استخدامه والاستفادة منه، كما يعنى ذلك الاهتمام بمنبع المورد أي بالنشاط الأوَّلى المنتج

للمورد (زراعة - رعي - صيد - تعدين الخ): وهذا يتطلب الاهتمام بطرائق القيام بهذا النشاط والسعي إلى تحسين نتاج هذا النشاط كمًّا وكيفًا، يلى ذلك اختيار طرائق التصنيع: بدءًا من تخيل السياقات الاجتماعية الحضارية البيئية المستهدف توطين الصناعات فيها والتعايش مع هذه السياقات والتفكير بدلالة مفرداتها حتى يتم التوصل للتقنيات الملائمة للتصنيع فى هذه السياقات، يلى ذلك العمل على تصنيع المعدات الاستثمارية اللازمة لهذه الصناعة محليًا وقوميًا وإقليميًا، ثم العمل على التحسين المستمر لهذه التقنيات، وهذا كله يؤدى إلى نشوء منظومات بحوث وتطوير ملائمة لظروفنا فى مصر والعالم العربى والإسلامى وذلك نتيجة لوجود طلب اجتماعى حقيقى عليها، كما يؤدى إلى نمو هذه المنظومات وازدهارها فى تفاعلها الحقيقى مع هذا الطلب.

4. إعادة إكتشاف الموارد المحلية

ليست الموارد المحلية مجرد موارد بالمعنى الاقتصادى أو سلع قابلة للتداول: فهي تمثل بتوافرها محليًا تحديًا متجددًا للجماعة المحلية والقومية: فكل جيل مطالب بأن يقدم "طبعته" الخاصة فى التعامل مع الموارد المحلية أي التوصل إلى الأساليب الملائمة لاستخدام هذه الموارد المحلية للوفاء بالاحتياجات المعاصرة مما يمثل حافزًا على توجيه الفكر والخيال لإبداع استخدامات ومنتجات جديدة من هذه الموارد وهو ما يؤدى بالتالى إلى بناء قدرات علمية وتكنولوجية يتطلبها تصميم هذه المنتجات والتوصل إلى العمليات الصناعية لإنتاجها وكذلك نشر الصناعات وإقامة المنشآت الصناعية لإنتاج هذه المنتجات، **وسوف أضرب مثالًا على ذلك من خبرتنا مع جريد النخيل:**

4-1 الاستخدامات التقليدية

مادة بناء للسقف والحوائط والأسوار والأثاث، الخ.

4-2 الاستخدامات الجارى تطبيقها حاليًا

بدائل للأخشاب فى الخرط العربى (الأرابيسك) وفى ألواح الكونتر بانوه والحبيبى وال MDF وقطع الأثاث العصرى وألواح الباركيه.

3-4 استخدامات ينتظر أن تكون مطلوبة فى المستقبل كمصدر للألياف لتسليح البوليمرات بديلًا للألياف الزجاجية للاستخدام فى كافة وسائل النقل: السيارات الخاصة والأتوبيسات والقطارات وكذلك فى مواد البناء.

5. مفهوم التنمية الذاتية

ينطلق مفهوم التنمية الذاتية من النظر إلى المجتمع المحلى باعتباره كائنًا حيًا يحمل مقومات نموه ذاتيًا ويتمتع بهوية متفردة ويتحلى بملامح وقسمات تهبه طابعًا خاصًا وتميزه عن غيره من المجتمعات، وجوهر التنمية الذاتية ليس بالأساس الإضافة الكمية لأي عامل من عوامل الإنتاج مأخوذًا من الزاوية الاقتصادية، بل مساعدة كل مجتمع محلى على تجديد ثقافته والتعبير عن نفسه وتأكيد قيمه الخاصة واكتشاف أشكال جديدة للتعبير عنها وإطلاق الطاقات الكامنة والقدرات الذاتية لدى الجماعة المحلية على التجدد والارتقاء وتوفير أفضل الظروف لاستمرار هذه التفاعلات.

وتعنى التنمية الذاتية الاعتراف بالتنوع: فى الظروف الأيكلوجية والخبرات التاريخية والبنى الاجتماعية الحضارية للمجتمعات المحلية وتوظيف ذلك التنوع لإثراء التجربة التنموية على المستوى القومى والإقليمى وكذلك إتاحة الفرص لإبداع ومشاركة الغالبية فى التنمية.

هكذا تمثل التنمية الذاتية دعوة لتخطيط من نوع جديد يبدأ من المستوى التحتى Grass root level حيث المجتمع المحلى ثم المستوى الإقليمى والقومى ويهتم بفهم الأطياف الواسعة للظروف الأيكولوجية وخصوصية الخبرات التاريخية مع الاهتمام بمشاركة بنى اجتماعية حضارية غاية فى التنوع: تقليدية كانت أم حديثة وكذلك فهم التشابكات والتفاعلات داخل الانساق المحلية وكيفية تحفيزها وإمكانية تحقيق الربط بين مقومات التنمية على مستوى هذه الأنساق.

6. معالم الطريق لتفعيل التنمية الذاتية للمجتمعات المحلية

6-1 نحن بحاجة لتسجيل التراث التقنى للمجتمعات المحلية فيما يتعلق بكافة الحاجات الأساسية: المأكل والملبس والمسكن والطاقة والتطبيب والاتصال والانتقال والدفاع، الخ: هذا التراث يمكن أن يكون مفيدًا بشكل مباشر فى الوفاء بالعديد من هذه الاحتياجات الأساسية فى ظروف الريف وحتى فى المدينة: فنحن نوقد الشموع عندما تنقطع الكهرباء وقد نحتاج لركوب الدواب عندما ينضب لدينا البترول!! ، كذلك يمكن تطوير بعض التقنيات التى يتضمنها ذلك التراث، وبالإضافة إلى ذلك يمكن أن يكون ذلك التراث مصدر إلهام لنا!!! فالتراث التقنى يحمل شفرة –أقرب ما تكون للشفرة الوراثية Genetic code- للتكيف مع البيئة عبر أجيال طويلة، كما أنه محمل بالتعبيرية الحضارية Cultural expressiveness وهي أعلى قيمة له: فهو فى هذه الحالة يمثل ما يشبه Soft ware،

أي أنه يعطينا اتجاهات متميزة للتفكير والخيال وبالتالى للإبداع المرتكز على خصائص بيئتنا الطبيعية وعلى خصوصيتنا الحضارية، والتراث التقنى بهذا المعنى ركيزة للحفاظ على استمراريتنا الحضارية وكذلك لمساهمتنا المبدعة على المستوى القومى والعالمى فى إثراء التجربة الإنسانية فى مجال التنمية .

2-6 نحن بحاجة إلى إعادة القيمة Valorization أو إنصاف العديد من عناصر الطابع المحلى: فى المسكن والملبس والأثاث والمأكل، الخ: ولا يعنى ذلك بالطبع تجميد هذه العناصر على صورتها الراهنة: فالعديد من عناصر الطابع المحلى يمكن أن تحمل صفتى الثبات والتغير فى نفس الوقت: فالبناء بالطين فكرة Concept: لكن هناك البدائل فى التقنيات (البناء بالكرشيف فى سيوة، والبناء بالطين المسلح بالتبن أو بألياف جريد النخيل، أو الطفلة فى الوادى الجديد، ويمكن أن تمتد الفكرة لتشمل الجبس المسلح بالليف مثلا، الخ)، ناهيك

عن البدائل فى التصميمات (Bricks, Slabs, etc.).
والثبات لا يعنى بالضرورة التخلف: فهو قد يعنى التوائم مع خصائص بيئية معينة أو سمات حضارية خاصة والدعوة هنا أن يتواكب إحياء الطابع المحلى مع الاتجاه لإعادة اكتشاف الموارد المحلية أي أن ننظر إليها فى سياق حاجاتنا الإنسانية المعاصرة على المستوى المحلى والقومى والإقليمى والعالمى وأن نحاول توصيفها علميًا كبنية على المستوى الماكرو والميكرو وأن نعيِّن تركيبها الكيميائى وأن نحدد خواصها الفيزيقية والميكانيكية، الخ وذلك بهدف تحديد مدى مناسبتها لإنتاج سلع أو الوفاء بخدمات مطلوبة. إن هذا الاتجاه سوف يعيد الثقة لدى أبناء المجتمع المحلى بمواردهم المحلية وبالتالى في أنفسهم، كما أنه سييسر الاستفادة من الإمكانات المحلية لتلبية الحاجات الأساسية –طبعا مع تطوير أساليب التصنيع والتصميمات– من خلال صناعات محلية تقام لهذا الغرض. وبالإضافة إلى ذلك فهذا الاتجاه

سوف يؤدى إلى الاستخدام الأقصى للميزة الاستراتيجية فى التفرد الأيكولوجى: أي توظيف عناصر الفلورا Flora (النبات) والفونا Fauna (الحيوان) التى تتميز بها كل بيئة محلية فى إنتاج منتجات متفردة Unique products خاصة إن عبَّرت هذه المنتجات عن الطابع الثقافى المميز للمجتمع المحلى [1]. ويبدو أن مشكلات الطاقة الزائدة Over capacity التي يعانيها السوق العالمى حاليا والاحتكاكات التجارية Trade frictions [6] بين الدول تعطى ميزة تنافسية للمنتجات المتفردة Unique products والتى يمكن أن تتميز فيها دول الجنوب عمومًا إنطلاقًا من التنوع البيولوجى Biodiversity والثراء الحضارى لها .

3-6 التلقى السلبى لثمار إبداع الآخرين فى صورة سلع وأساليب جاهزة للحياة والاستهلاك والإنتاج لن يحفز القدرات الإبداعية لدى أبناء المجتمعات المحلية: بل سيؤدى إلى تخميد نشاطهم وتعويدهم على الخمول والكسل والراحة وهذه هي النتيجة

الحتمية لتبنى صيغة التحديث كنموذج جاهز وارد من الغرب! إننا بحاجة إلى إحداث تحول من ذلك النموذج إلى نموذج التنمية الذاتية. وأهم أداة فى إحداث هذا التحول: هو تمكين أبناء المجتمعات المحلية: تنظيميًا وعلميًا وتكنولوجيًا كى يكونوا منتجين كما هو مبين بشكل (2)، مما سيؤدى إلى نمو الصناعات والقدرات الإنتاجية المحلية لإشباع العديد من الحاجات الأساسية للمجتمع المحلى: فى المسكن والأثاث والملابس، والطعام، الخ مع وجود فائض للتصدير: وهذه الخطوة من أصعب الخطوات اللازمة لنجاح الصناعة المحلية.

4-6 الإبداع التكنولوجى المحلى: الأفضل أن يجرى فى مثلث ذي ثلاثة أضلاع، كما هو مبين فى شكل (3):

- الضلع الأول هو الموارد المحلية والتى تمثل سويًا الوعاء المادى الذى نشأت وتطورت فيه الحضارة المصرية: والمحلية هنا تعنى: استدامة التوافر ورخص السعر وخفض نفقات النقل.

لكنها تعنى أيضًا: الألفة النفسية وسابقة الخبرة، وهذا ينقلنا إلى :

- الضلع الثانى: وهو خلاصة خبرة الأجيال المتعاقبة فى التعامل مع هذه الموارد: إنتاجًا وتصنيعًا واستخدامًا وهو ما سميناه سابقًا: التراث التقنى وهو في أقصى تجريد يمثل Soft ware: فى التشغيل وفى إبداع التصاميم واستخدامات جديدة لهذه الموارد .
- الضلع الثالث: الصناعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة وهى التى تمثل الترجمة الاقتصادية لناتج الإبداع التكنولوجى من خلال نشاط إنتاجى يجرى وفقًا لمعايير اقتصادية محددة: إما لإشباع حاجات أساسية محلية أو للتصدير خارج المجتمع المحلى .

5-6 لكننا كي ندعم جهود التصنيع فى ظروف المجتمعات المحلية نحتاج لرؤية تخطيطية جديدة تبدأ من الأسفل لأعلى: فبعيدًا عن قواعد

المعلومات المجهزة بشكل قطاعى (قطاع التعليم – الزراعة – الصناعة، الخ) والتى لا ترى أصغر من المركز (المراكز فى المحافظات) وتعمل على نفي أو تجهيل كل ما يحوزه المجتمع المحلى من تراث تقنى وقدرات صناعية أهلية –والتي تسمى فى أدبيات التنمية بالنفي: أى غير الرسمية Informal - فإننا بحاجة إلى أسلوب جديد لجمع وتكوين وعرض البيانات والمعلومات: وذلك بهدف تكوين رؤية شاملة على مستوى أصغر وحدة عمرانية: القرية أو الحي عن: الموارد المتاحة للصناعة سواء كانت زراعية (نباتية وحيوانية) أو تعدينية وكذلك أساليب الحياة التى تميزها والتراث التقنى المتعلق باستخدام وتصنيع الموارد المحلية وأشكال البنى الاجتماعية – الحضارية الفاعلة بها وطيف المهارات والقدرات لأبنائها ومصادر التمويل الذاتية المتاحة بها، الخ.

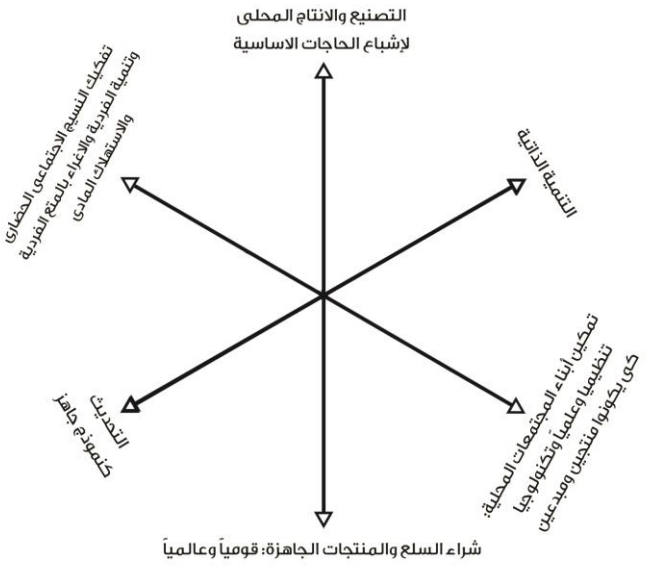

شكل (٣): عملية التحول اللازمة للتصنيع المحلى : من تبنى صيغة التحديث الجاهزة إلى التنمية الذاتية.

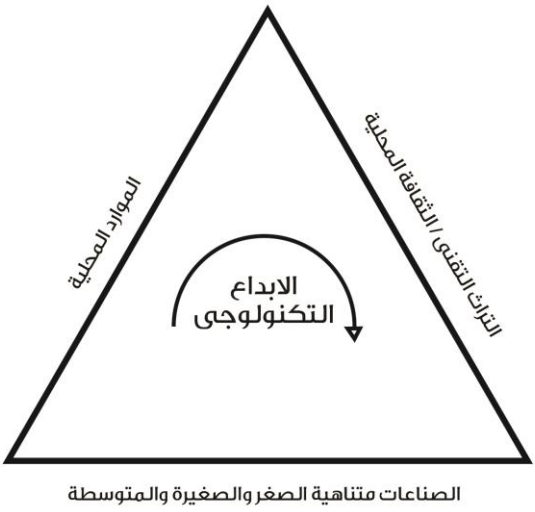

شكل (٣): مثلث الإبداع التكنولوجى بأضلاعه الثلاثة: الموارد المحلية والتراث التقنى والثقافة المحلية والصناعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة.

6-6 نحن بحاجة لأن نعطى أنفسنا حق الخطأ حتى يكون باستطاعتنا أن نرى الخطأ ونعترف به وأن نبذل جهودنا كى نتجاوزه. إخفاء الخطأ جريمة فى حق أنفسنا وحق الأجيال القادمة: لكن عدم السماح بالخطأ هو أيضا خطأ لأنه يجعل المخطئ يخفى خطأه فلا يتعلم ولا نتعلم منه ويؤدى فى النهاية إلى البحث عن كبش فداء لتحمل الخطأ بدلًا من أن نتعلم من أخطائنا وننضج خبراتنا وتجاربنا وطرائق تصنيعنا وإنتاجنا.

7-6 إذا أردنا أن نطور وننشر الصناعات القائمة على الموارد المحلية فمن أين نبدأ؟ نبدأ بالعثور على تلك البؤر (المجتمعات المحلية) التى تتميز بحيوية عالية للتراث التقنى فى علاقته بالموارد المحلية: هذه البؤر يمكن أن تمثل نقاط انطلاق لتطوير تلك الصناعات ونشرها فى العديد من المجتمعات المحلية.

8-6 كيف نعيد الحيوية للمجتمع المحلى ونساعده على مقاومة تيار السوق الذى تغذيه القوى النيوليبرالية: العالمية والقومية بكل وسائلها والتى تسعى لتغليب قيمة المنفعة الفردية بمعناها المادى وتسليع الحياة وابتسارها إلى عمليات بيع وشراء وتبادل للسلع والمنافع؟ كيف نساعد المجتمع المحلى على استعادة الحياة فى ظل المعنى والحقيقة والأهداف الإنسانية السامية؟

- إعادة بناء الجماعية والتضامن وشبكات العلاقات الاجتماعية: على أسس الروابط العائلية والجيرة وكذلك الروابط المهنية.
- السعي إلى خفض الاحتياجات المادية إلى الحد الأدنى الذى لا يتعارض مع الفعالية الفردية والجماعية والإعلاء من قيمة القناعة فى مجال الاستهلاك المادى فى مواجهة الترف والإسراف.

- تبنى مفهوم للتنمية العمرانية يعتمد على تكامل الخدمات على أضيق نطاق محلى ممكن: المجمع السكنى – المجاورة، الخ.
- السعي إلى تجاوز أشكال الملكية الفردية الخاصة واستبدالها بالمشاركة فى حق الاستخدام أو / والتأجير (أو التدوير) بدءًا من الملابس وصولًا للأثاث والسلع المعمرة وكذلك الخدمات (السكرتارية والاتصالات مثلًا) ووسائل الإنتاج (الجرار وماكينات الرى) وحتى ورش التشغيل .
- تبادل الخدمات والأعباء (رعاية الأطفال – التوصيل للمدارس، الخ) وكذلك السلع مباشرة دون نقود.

7. منهجية التعامل التنموى مع الموارد المحلية

تنطلق المنهجية المقترحة من مفهوم رئيس هو **إعادة اكتشاف الموارد المحلية** بمعنى توجيه الفكر والخيال لإيجاد استخدامات معاصرة لتلك الموارد مما يمثل آلية مهمة لتكوين القدرات العلمية والتكنولوجية الذاتية خلال مسار البحث العلمى التطبيقى الذى يتطلبه تصنيع هذه الموارد وما يمثل آلية مهمة لتنمية المجتمعات المحلية. **وتتضمن المنهجية المقترحة الخطوات التالية:**

7-1 القيام بإجراء الاختبارات لتحديد الخواص الفيزيقية والميكانيكية Physical and Mechanical Properties لهذه الموارد المحلية لإعطائها هوية جديدة أو للتعريف بها بشكل جديد ومقارنتها بالسلع البديلة الموجودة فى السوق وكسر غربة الناس بها. ويعتبر ذلك أيضًا نوع من الترويج Promotion لهذه الموارد فى صورتها الجديدة.

2-7 تطوير منتجات Product Development جديدة تقوم على هذه الموارد وتفتح لها أسواقًا جديدة لم تكن موجودة من قبل .

3-7 تصميم العمليات الإنتاجية Process Design آخذا فى الاعتبار بالسياق الاجتماعى الحضارى الذى سوف تنشأ فيه الصناعة .

4-7 تحديد الظروف المثلى للعملية الإنتاجية

Optimization of the Process Parameters

ويقتضى ذلك القيام ببحث علمى تطبيقى: البحث هنا يخدم إنجاح التطوير والنموذج المقترح هنا: التطوير والبحوث أي أنه D & R وليس R & D أي البدء باختبار إمكانية تصنيع المنتج من الموارد المحلية ومدى قبول السوق له ثم القيام بالبحث العلمى لتحديد الظروف المثلى لتصنيعه وهو نموذج قد يكون أكثر مناسبة لظروف مجتمعاتنا العربية والإسلامية .

5-7 تصميم الماكينات المناسبة Design of the Appropriate Machines فمثلا عندما قمنا بتصميم ماكينات لخراطة الأرابيسك من جريد النخيل بالواحات الداخلة حرصنا على أن يناسب التصميم العمل على هذه الماكينات بالمنازل وأخذ عامل الأمان بهذا وزنًا نسبيًا أكبر، كما حرصنا على تزويد الماكينة بالعديد من الوظائف لعدم وجود ورش تشغيل أخشاب فى الواحات ولكى تسمح الماكينة بتشغيل كافة نواتج تقليم الأشجار بالإضافة الى جريد النخيل .

6-7 تصنيع واختبار النموذج الأول من الماكينات Manufacture and Testing of Manufactured Equipment وتعديل التصميم إن لزم الأمر.

7-7 إنشاء وحدة إنتاج تجريبية Pilot Unit للمنتجات المطلوبة بما يضع الصناعة الجديدة محل الاختبار والتقييم وما يتيح للمستثمرين التعرف على المجال

الصناعى الجديد واتخاذ القرار بخصوص الاستثمار فيه .

8-7 القيام بدراسات الجدوى لإنشاء مشروعات صناعات صغيرة تقوم على استخدام الموارد المعنية تمهيدًا للتوسع Up scaling فى تطبيق مشروع.

8. نماذج تطبيقية

8-1. جريد النخيل كنموذج لاستنبات التكنولوجيا.

سأتكلم الآن عن موضوع جريد النخيل: لا كمشروعات قام بتطبيقها مركز تنمية الصناعات الصغيرة بكلية الهندسة، جامعة عين شمس، وكذلك الجمعية المصرية للتنمية الذاتية للمجتمعات المحلية ولكن كنموذج للمشروع الصغير القائم على الموارد المحلية وعلى الأفكار الجديدة وعلى استنبات التكنولوجيا: أي البدء أو ال Start up لتكوين قدرة تكنولوجية ذاتية. وأهمية هذا النموذج أنه فى رأيى قابل للتعميم: فالمجموعة التى بلورت هذا النموذج لم يكن لديها أي معلومات مسبقة عن جريد النخيل –ونحن لا ندرس مثل هذه الموارد فى كليات الهندسة ولا حتى فى كليات الزراعة فى بلدنا– وبالنسبة للتمويل: لم ننعم بأي تمويل جيد لبحوثنا فى أغلب الأحيان والعمل التطوعى كان عنصرًا رئيسيًا جدًا فى نجاحنا، الشيء الأهم فى رأيى فى هذا النموذج: إننا لم نفرض أنفسنا على موضوع البحث بل

تركنا موضوع البحث يفرض نفسه علينا. البداية كانت فى منتهى البساطة: إننا وجدنا موردًا تقليديًا مهمًا للغاية يسبح ضد التيار: يعنى نتيجة لتغير أسلوب الحياة فى قرانا وريفنا تحول هذا المورد إلى عبء على البيئة مما نتج عنه إهمال التقليم وبالتالي حدوث الحرائق وزيادة معدلات إصابة النخيل بالحشرات وربما الأهم انهيار الجدوى الاقتصادية لزراعة النخيل نفسها فى بعض الأحيان، فإذا اقترن كل ذلك بالفقر الشديد الذى تعانيه الكثير من المناطق الريفية المشهورة بزراعات النخيل خاصة فى صعيد مصر فإن ذلك يمثل دعوة لا تقاوم للاهتمام العلمى والتكنولوجى بجريد النخيل: كمورد رخيص ومتجدد. وذلك ما حدث معنا بالضبط وسوف أتكلم الآن عن المراحل التى مرت بها تجربتنا مع جريد النخيل.

- الإبداع المتمثل فى إحلال جريد النخيل محل الأخشاب المستوردة فى منتجات نمطية:

– فى صناعة ألواح الكونتر بانوه بديلا لخشب البياض.

- فى صناعة الأرابيسك بديلا للزان.
- فى صناعة ألواح الحبيبى بديلا لخشب الكازوارينا تحقق المواصفات المصرية.
- فى صناعة ألواح ليفية متوسطة الكثافة MDF تحقق المواصفات العالمية.

- ابداع ماكينات تجهيز جريد النخيل كمورد صناعي (فى صناعات الأرابيسك وألواح الكونتر بانوه) تناسب مورد جريد النخيل: لكنها تعمل وفقًا لنفس أسس تشغيل الأخشاب.
- إبداع ماكينات لتجهيز جريد النخيل (ماكينات سلخ الجريد) تقوم على أسس للتشغيل غير معروفة من قبل للأخشاب وتعتمد على معرفتنا الجديدة بالبناء التشريحى لجريد النخيل (الذى ينتمى إلى عائلة أحاديات الفلقة [4] حيث لا يوجد تدعيم عرضى بمقطع الجريد بما يسمح باستخدام عمليات التشغيل فى الاتجاه الطولى للجريدة وما يخفض جدًا من طاقة التشغيل

ويمنع التلوث الناجم عن عمليات التشغيل التقليدية).

- إبداع منتجات جديدة تمامًا من جريد النخيل وهي:

- منتج من جريد النخيل بأي مقطع وطول مطلوب وبخواص فيزيقية وميكانيكية تضاهى مثيلتها للأخشاب المستوردة (وقد حاز هذا المنتج على جائزة أفضل بحث فى مؤتمر EUROMAT-97 للمواد فى ماسترخت 21-23 ابريل 1997)، [5].

- قشرة من جريد النخيل لها مواصفات ميكانيكية تضاهى الصلب (24 كجم/مم2 متانة الشد) تصلح للاستخدام فى مؤلفات صناعية Industrial Composites فى المجالات المختلفة[3].

- قطع أثاث عصرية من جريد النخيل[2].

8-2. مشروع صناعة الأعلاف غير التقليدية

8-2-1. مقدمة

انطلقنا فى هذا المشروع من فكرة التنمية الذاتية والتى تعنى ببساطة أنه لا يوجد مجتمع إنسانى دون موارد محلية تمكنه من بناء مشروعه التنموى / الاستثمارى الخاص به، والمشكلة تكمن فى غياب الصلة بين الإنسان وموارده المحلية وبين الإنسان وما يحوزه من قدرات وإمكانات كامنة، وهى الحالة التى نعبر عنها بحالة الغفلة أو الغيبوبة، ودورنا الأساسى كممارسي تنمية هو التذكير والتبشير بإمكانات التنمية الذاتية من خلال مساعدة أبناء المجتمعات المحلية فى إعادة اكتشاف مواردهم المحلية. فنحن لا نضيف عوامل خارجية، إنما نذكر ونبشر الناس بالإمكانات الكامنة لديهم: موارد محلية وقدرات بشرية، والتى لم يتم بعد توظيفها وتفعيلها لصالح تقدم المجتمع المحلى وتنميته.

8-2-2. كيف تم اختيار مشروع قرية كفر العرب؟

عندما ذهبنا إلى قرية كفر العرب يوم الأربعاء الموافق 2008/8/20 لم يكن لدينا تصور مسبق عن المشروع

المناسب للقرية الذى يمكن أن يقام بمنحة من شركة دانة غاز ويوفر فرصًا للعمل بها. لم نحمل معنا للقرية "نماذج جاهزة" لمشروعات تم تحديدها مسبقًا وبعيدًا عن القرية، دعونا لاجتماع فى مقر الوحدة المحلية للقرية يحضره أطراف مختلفة ممثلة للقرية والمركز (مركز فارسكورالذى تتبعه القرية) من مزارعين ومربى ماشية وممثلين للإدارة الزراعية فى فارسكور ورئيس القرية.

فى البداية طرح المجتمعون أفكار مشروعات تعجيزية مثل إقامة مصانع لتدوير القمامة وحل مشكلات الصرف الصحي، ومع زيادة حميمية الصلة بيننا أخذ الحديث منحىً آخر. وفجأة تفجر موضوع نقص أعلاف الماشية كأهم مشكلة تواجه القرية[2].

2 فيما يلى نماذج من تصريحات السادة المزارعين والمربين بالقرية: "الناس بتبيع البهايم، كان عندى 18 واحدة، ما عدتش قادر، كان عندى 20 جاموسة بقوا 9"، "المربى تخلص من المواشى"، "التكلفة عالية جدًا"، "كان عندى 30 راس وصلوا لـ 15"، "لا علف وفقًا للمواصفات القياسية"، "الحيوان هزيل جدًا"، "مافيش نتائج لا لحم ولا لبن"، "الناس بتأكِّل قش"، "العلف مشكلة المشاكل"، "الفلاح بيستخدم عفش البطاطا وبيعمل إسهال"، "نص البهايم

ولقد تأكد فهمنا لمشكلة نقص الأعلاف من خلال الدراسة الميدانية التى قمنا بها حين اتضح أن تربية الماشية من أهم الأنشطة الاقتصادية بالقرية[3]، وكذلك تصنيع منتجات الألبان. لقد أظهرت الدراسة الميدانية أن أغلب مربى الماشية فى القرية لا يستخدمون الأعلاف الجاهزة نظرًا لارتفاع سعرها، كما أنهم غير قادرين تقنيًا وعلميًا على تصنيع الأعلاف غير التقليدية (السيلاج)، وفى غيبة الإرشاد الزراعى فى القرية يلجأ الغالبية العظمى من المربيين إلى الاستخدام المباشر للذرة الخضراء وعروش البطاطا وقش

بتاعتنا انقرضت" "إحنا دلوقتى بنتظلم: مافيش بروتين"، "الناس عايزة تتخلص من الماشية وبتبيعها لحم بـ 24 جنيه للكيلو"، "مافيش إرشاد بيطرى وماحدش بيقول:بتأكّلوا البهايم إيه"، "فيه ناس فضت الموضوع"، "بعد ثلاث سنين مش هتلاقى حد هنا بيربى مواشى".

3 القرية كلها منطقة حظائر "تصريح لأحد المزارعين بقرية كفر العرب".

الأرز[4] وحشيشة علف الفيل فى تغذية الماشية، مما يهبط بإنتاجها من الألبان، بالإضافة إلى انخفاض بنط اللبن[5].

حرصنا على أن يختار أهل قرية كفر العرب المشروع، وأن يشعروا بملكيته[6] منذ اللحظة الأولى، وأن ينحصر دورنا فى التأكد من إمكانية تنفيذه، وكذلك من جدواه الفنية والاقتصادية.

8-2-3. أهمية المشروع بالنسبة للقرية

تجاوز مشروع تصنيع الأعلاف غير التقليدية (السيلاج) هدف توفير فرص عمل مدرة للدخل –المطلب الرئيسى لشركة دانة غاز المقدمة للمنحة– إلى دعم هوية القرية

4 "قش الأرز دخل كله علف: يتهرس، باضحك على المواشى" تصريح لأحد المربين بالقرية.

5 "تركيز اللبن دلوقتى 2.5 بنط. لو تغذية مظبوطة يبقى 4"، تصريح لأحد أصحاب مصانع منتجات الألبان فى كفر العرب.

6 "احنا اخترنا لهم المشروع" تصريح لأحد النشطاء فى قرية كفر العرب فى لقاء تسليم مخرجات المشروع الثلاثاء الموافق 2010/5/4، مما يعبر عن شعور أهل القرية بملكيتهم للمشروع.

التى تتميز بتربية الماشية وإنتاج منتجات الألبان، حيث تشتهر قرية كفر العرب على مستوى محافظة دمياط بإنتاج الجبن الرومى والإسطمبولى الذى يباع قبل أن ينتج!

إلا أنه من الزاوية الاقتصادية فإن مشروع تصنيع أعلاف الماشية يحقق التشبيك Networking بين أنشطة الزراعة وتربية الماشية، وكذلك تصنيع منتجات الألبان، مما يقوى الصلات بين هذه الأنشطة والتفاعلية بينها، ويجعلها تدعم بعضها بعضًا، هناك شواهد على قيام مربين بتغيير التركيب المحصولى نتيجة لتشبيك هذه الأنشطة مع بعضها البعض[7].

7 "أنا كنت بازرع 11 فدان برسيم، بعد المشروع أنا هزرع فدان واحد برسيم وال 10 قمح لأنى هاستخدم عروش البطاطا وأعواد الذرة وحشيشة الفيل فى عمل سيلاج لتغذية الماشية" تصريح لأحد المربين الذين شاركوا فى المشروع فى قرية كفر العرب.

كذلك أنضج المشروع وعيًا اجتماعيًا جديدًا تجلى فى رغبة الرواد فى تصنيع السيلاج فى تعليم غيرهم من المربيين فى القرية[8].

كما أن المشروع قد أحدث تغييرًا فى علاقة أبناء قرية كفر العرب بالبواقى الزراعية لديهم، فلقد وصَّل لهم تصنيع السيلاج من البواقى الزراعية الرسالة الأشمل والأعمق وهى أنه ليس هناك مواد بلا قيمة[9].

8-2-4. المشروع: نقطة تحول فى مأسسة العمل فى الجمعية

شهد المشروع بداية تحول كبير فى أسلوب عمل الجمعية، حيث انفصلت الرؤية الحاكمة لعمل الجمعية عن الأشخاص، واكتسبت قوامًا يشارك الجميع فى صياغته

8 "عندى عدد من المزارعين أعمل لهم: خدمة للناس".. "أعلم اللى بعدى واللى بعدى يعلم اللى بعده.. الناس كلها تستفيد من المشروع"، تصريحات لأحد المربين بقرية كفر العرب.

9 "مافيش حاجة هاتترمى بعد كده" .. " ما عادش حاجة هتترمى".. "حصلت نضافة بعد تصنيع الأعلاف.. ماعدش فيه قش"، تصريحات لاثنين من المربين لرئيس الوحدة المحلية لكفر العرب.

وتشكيله: أي أنها أصبحت ملكًا للجميع، واتخذت بذلك طابعًا موضوعيًا. كذلك حدث انفصال بين إدارة الجمعية وإدارة المشروع، حيث اتضح أهمية استقلال إدارة المشروع عن إدارة الجمعية، حتى تتحقق الحرية فى اختيار مدير المشروع وكذلك أعضاء فريق العمل، وفقًا لما يتطلبه محتوى المشروع وديناميكية تنفيذه على أرض الواقع وكذلك حتى يمكن الاستجابة بسرعة للتحديات والمتغيرات التى تظهر خلال مسار تنفيذ المشروع.

8-2-5. منهجية العمل التنموى بمشروع كفر العرب

كان من أهم ما يميز تجربة التنمية فى كفر العرب هو التفكير المنهجى فى العمل، والذى يشمل:

1. الدراسة

- الرسمية
- الواقعية

2. التخطيط

- اختيار المشروع الأنسب من زاوية الجدوى الاقتصادية.

- خطوات المشروع.
- التمويل.

3. التنفيذ (5 مراحل).

4. المتابعة.

وأعتقد أن هذه المنهجية هى أساس أي عمل ناجح بعيدًا عن عشوائية التفكير والتنفيذ والتى غالبًا ما تترك أثرًا مؤقتًا مع انتهاء المشروع، هذا إذا ما صادف هذا الأسلوب أى نجاح، ولهذا عملت الجمعية المصرية للتنمية الذاتية للمجتمعات المحلية من أول يوم على اتباع الأساوب العلمى.

8-2-6. النظرة المستقبلية لقرية كفر العرب بعد المشروع

لا شك أن الجمعية المصرية للتنمية الذاتية للمجتمعات المحلية ستكون حريصة ألا تنتهى الطفرة التى تحققت بتنفيذ المشروع بعد انتهاء مراحله المختلفة، ولذلك فإن الجمعية حرصت على تدارس الخطوات المستقبلية في القرية من خلال عدة لقاءات بين مسئولى الجمعية وباقى

فريق العمل بالمشروع، وقد خلصت الجمعية إلى عدة ملامح للتعاون المستقبلي مع القرية، تتمثل فيما يلى:

1. إنشاء جمعية تعاونية لمربى الماشية بكفر العرب تكون مهامها الأساسية:

- استلام كافة مخرجات المشروع (ماكينات، وثائق، متحصلات القروض.. الخ).
- متابعة القروض لدى المربيين وإدارتها من حيث العمل على تحصيلها وتدويرها.
- متابعة برامج تطوير الإنتاج الحيوانى بالقرية.
- الحصول على حصص مدعمة من مكونات الأعلاف غير التقليدية وتغذية الماشية.

وقد تم إشهار الجمعية (جمعية كفر العرب لتنمية الثروة الحيوانية) وتكوين مجلس إدارة، واتخذت الجمعية لها مقرًا بالقرية، ووضعت اللائحة الأساسية لها.

2. بروتوكول تعاون بين الجمعية المصرية للتنمية الذاتية للمجتمعات المحلية وجمعية

كفر العرب لتنمية الثروة الحيوانية ومعهد بحوث الإنتاج الحيوانى بوزارة الزراعة.

3. العمل على توفير مكبس قش أرز آلى متحرك للمحافظة على الثروة الهائلة من قش الأرز المنتج بالقرية.

4. تطوير صناعات الألبان بالقرية، سواء لدى معامل الألبان أو على مستوى منزل الفلاح، للمعاونة على تسويق اللبن المتوقع زيادة إنتاجه بعد نجاح هذا المشروع فى القرية.

5. تهدف النظرة المستقبلية أيضًا إلى الاستفادة من الموقع الجغرافى المتميز لقرية كفر العرب التى تقع على بعد 20 كيلو مترًا جنوب مدينة دمياط وتتبع إداريًا مركز فارسكور الذى يتكون من 12 وحدة محلية، مما يجعل القرية مركزًا للإشعاع الإرشادى فى مجال الإنتاج الحيوانى للقرى المحيطة بها، والتى يمكن أن تمثل امتدادًا طبيعيًا لكل

الأفكار الرائدة النابعة من نموذج قرية كفر العرب، وأقرب هذه القرى هى (كفر الشناوى – شرباص – الغنمية).

3-8. مشروع صناعة السماد العضوى

1-3-8. اختيار المشروع

تم القيام بدراسة ميدانية لقرية فارس، مركز كوم أمبو، محافظة أسوان خلال الفترة من 3 إلى 5 نوفمبر، 2009 و17 إلى 18 نوفمبر 2009 [8] حيث تبين عدم الاهتمام بتقليم نخيل التمر والدوم مما يؤدى إلى انتشار الإصابة بالسوسة الحمراء والناخرات المختلفة فضلًا عن الاشتعال المتكرر للحرائق مما يقضى على ثروة النخيل بالقرية.

خلال الاجتماعات الموسعة التى جرت فى القرية تم بالإجماع اختيار مشروع صناعة السماد العضوى وذلك للأسباب الآتية:

- الحاجة الملحة لتلبية حاجة أساسية لأبناء القرية تتمثل فى استصلاح الأراضى الصحراوية المتاخمة للقرية لاستيعاب الزيادة السكانية للقرية وتحسين الدخل للجيل الحالى من السكان وذلك بتوفير سماد عضوى نباتى من إنتاج القرية وبتكلفة منخفضة مقارنة بالبدائل الأخرى.
- إيجاد حل مستدام لتراكم مخلفات نخيل التمر والدوم والمانجو والذى يمثل بيئة خصبة لانتشار الآفات والحشرات، فضلًا عن انتشار الحرائق التى تقضي على الزراعات بالقرية.
- إيجاد فرص عمل مستدامة لأبناء القرية.

2-3-8. المرحلة الاستطلاعية

تم تنفيذ المرحلة الاستطلاعية للمشروع لإعطاء بيان عملى لأبناء القرية لإمكانية استخدام نواتج تقليم نخيل التمر والدوم والمانجو فى صناعة سماد عضوى. ولقد استلزمت هذه المرحلة تصنيع ماكينة فرم مناسبة للتعامل

مع نواتج التقليم. هكذا تم بناء ثلاثة مصفوفات للسماد العضوى بحوش الوحدة المحلية للقرية مع تدريب أبناء القرية على كافة خطوات التصنيع: بدءًا بتجميع نواتج التقليم وفرمها، ثم بناء المصفوفات مع المنشطات العضوية والترطيب بالماء، ثم التقليب المستمر ومتابعة الرطوبة والحرارة وصولًا للنضج، ثم بعد ذلك الغربلة والتعبئة ولقد تم القيام بالتحليل الكيميائى لكمبوست فارس العضوى حيث أكدت نتائج التحليل توافق صفات هذا الكمبوست مع الصفات المطلوبة للكمبوست الجيد. هكذا تم إنتاج 45 طن سماد عضوى مع حساب الجدوى الاقتصادية له. ولقد حققت هذه المرحلة هدفها الذى تمثل فى الإقناع العملى لأبناء القرية بإمكانية استخدام نواتج تقليم نخيل التمر والدوم والمانجو لإنتاج سماد عضوى جيد بتكلفة اقتصادية منافسة.

8-3-3. مرحلة الحقول الإرشادية

استهدفت هذه المرحلة إقناع المزارعين بقرية فارس بجودة سماد فارس العضوى مقارنة بالسماد البلدى

(الكرك) شائع الاستخدام والذى يؤدى استخدامه إلى نمو النيماتودا (الديدان الثعبانية) والحشائش غير النافعة من خلال روث الماشية فضلًا عن انخفاض كفاءته فى تسميد الأرض. هكذا تم –بمشاركة المزارعين ورغبتهم– اختيار ثلاثة حقول إرشادية لتجربة سماد فارس العضوى مقارنة بالسماد البلدى كـ Control وذلك فى الزراعات الآتية:

- البصل.
- المانجو.
- البرسيم الوجازى.

بالإضافة إلى ميزات سماد فارس العضوى فى خلوه من بذور الحشائش والنيماتودا وصغر حجمه (حوالى النصف) مقارنة بالسماد البلدى، وتحسينه لعملية امتصاص العناصر التى يحتاجها النبات ورفعه لقدرة التربة على اختزان الماء وزيادته للمناعة الطبيعية للنبات فقد أكدت تجارب الحقول الإرشادية أن هناك فروقًا معنوية فى صالح سماد فارس العضوى تصل إلى زيادة محصول البصل بقيمة 2,3 طن للفدان (12%)، كما أكدت نتائج تحليل

التربة أنه قد حدث تحسن فى نوعية التربة لتصل من مستوى التربة الفقيرة إلى التربة المتوسطة.

8-3-4. المرحلة الإرشادية Pilot phase

لإنجاز المرحلة الإرشادية للمشروع والتى يعنى نجاحها إمكانية التوسع Up scaling فى تطبيق المشروع فى قرى أخرى كان من الضرورى العثور على كيان ينوب عن المجتمع المحلى (مجتمع قرية فارس) فى احتضان المشروع وتحمل مسئولية القيام به مما يمثل أهم ركيزة لاستدامة المشروع. ولقد وقع الاختيار على جمعية الزهراء الخيرية بقرية فارس كممثل لمجتمع القرية.

تم خلال المرحلة الارشادية [9] بناء 6 مصفوفات سمادية أنتجت بعد النضج 33 طن سماد بتكلفة 260 جنيه للطن، وباقتراح سعر بيع 300 جنيه للطن يصل العائد الصافى للجمعية الحاضنة للمشروع 1320 جنيه من الكمية المنتجة. ولقد تم القيام بالتحليل الكيميائى للسماد المنتج فى المرحلة الإرشادية، وتؤكد نتائج التحليل أن السماد المنتج جيد ويحقق المواصفات المطلوبة فى

السماد العضوى، وخلال مراحل التصنيع تم تدريب شباب الجمعية على تقنيات التعامل مع المعدات وعلى الخطوات المطلوبة لإنتاج السماد العضوى، كما تم تسليم الجمعية المعدات التى استخدمت فى تصنيع السماد. ولقد شهدت ورشة العمل الختامية التى انعقدت فى 2012/11/27 إقبالًا كبيرًا من المزارعين على شراء سماد فارس العضوى بالتكلفة المقترحة (300 جنيه للطن).

9. خاتمة

واضح أن انبهارنا بالآخر الحضارى وبما بين يديه من سلع وموارد قد صرفنا عن الاهتمام بما بين أيدينا من موارد وإمكانات تنموية: إننا لم نقدِّر مواردنا المحلية حق قدرها فهانت علينا. إننا بحاجة الآن لأن نعود لمواردنا المحلية كأداة للمقاومة وكركيزة لبناء الذات والبعث الحضارى فهذه الموارد تتيح لنا فرصًا ذهبية لإيقاظ فكرنا واشعال خيالنا للتفاعل مع هذه الموارد ولتكوين قدراتنا العلمية والتكنولوجية الذاتية خلال ذلك التفاعل: وهى عملية مستمرة: فإعادة اكتشاف الموارد المحلية تعنى أنه من حق كل جيل أن يبلور رؤيته الخاصة فى تصنيع واستخدام موارده المحلية، أي أن الاهتمام بالموارد المحلية سوف يفتح باب الإبداع المرتكز على إمكاناتنا المحلية وخصوصيتنا الحضارية . إننا إذا اجتهدنا فى إحداث الوصل بين رؤيتنا الحضارية وبين جهودنا العلمية والتكنولوجية فإن هذا سوف يفضى بنا إلى بلورة نموذجنا الخاص للوجود والذى سوف يمثل بالتأكيد إثراء للتجربة الإنسانية

ككل: إننا فقط عندما نكون أنفسنا سوف نكون مصدرًا حقيقيًا للقيمة للآخر: أي أن قبولنا لأنفسنا هو الخطوة الضرورية لقبول الآخر لنا واحترامه لنا لأننا سوف نمثل إضافة حقيقية، وليس مجرد صورة ممسوخة، له.

كذلك تفتح الموارد المحلية الباب واسعًا: للمشاركة المبدعة لأبناء المجتمعات المحلية فى التنمية بما يحوزونه من هذه الموارد. وما لديهم من تراث تقنى مرتبط بها وما يملكونه من قدرات مبدعة فى فتح مجالات جديدة لاستخدامها فى شتى مناحى الحياة. وبقدر التنوع الهائل فى الظروف الأيكولوجية وفى الخبرات التاريخية والتكوينات الاجتماعية الحضارية للمجتمعات المحلية بالعالم العربى والإسلامى سوف ينفتح الإبداع الحضارى لنا وما يجعلنا بحق قادرين على أن نكون شهداء على الناس.

10. المراجع

1. Ben-Dak, J., A Catalytic Approach to Unique Product Development in the South, http: //www.undp.org/tcdc/backup/bendak.htm.
2. El-Mously, H.I., Innovating Green Products As a Mean to Alleviate Poverty In Upper Egypt. 1st International Joint Symposia on "Product Development an Innovation" an "Industrial Systems and Operations Management", Ain Shams University, Cairo, Egypt, 3-5 May, 2016.
3. El Shabasy A.B. and H.I. El Mously. Study of the variation of tensile strength across the cross-section of date palm leaves' midrib. Conference: Euromat-97, Maastricht, the Netherland, 21-23 April, 1997.
4. Megahed, M.M. and H.I. El-Mously, Anatomical Structure of Date Palm Leaves' Midrib and its Variation Across and Along the Midrib. A paper, presented to the IUFRO XX World Congress, 6-12 August, 1995, Tampere, Finland.
5. Taysseer A.M., M.I., El-Mously and M.M. Megahed. A new lumber like product from date palm leaves' midribs. Conference: Euromat-97, Maastricht, the Netherland, 21-23 April, 1997.
6. Tomiyama, T., The Post Mass Production paradigm. First International Symposium on Environmentally Coscious Design and Inverse Manufacturing, Tokyo, Japan, Feb. 1-3, 1999.

7. الموصلى، حامد، د. حمدى موسى، أ. نبيل مرقص، ومضة أمل فى التنمية المستقلة، مواطنون من أجل التنمية، سلسلة توثيق خبرات التنمية، 2010.
8. الموصلى، حامد. مشروع استخدام البواقى الزراعية لتحقيق التنمية المستدامة، قرية فارس، نوفمبر 2009.
9. الموصلى، حامد، مشروع انتاج السماد العضوى من مخلفات النخيل والدوم والمانجو، ديسمبر 2012.

الفهرس

الملخص 3

المقدمة 7

المجتمع المحلى كنطقة انطلاق لإعادة بناء المجتمع المصرى 9

ميزات الموارد المحلية 19

إعادة إكتشاف الموارد المحلية 27

مفهوم التنمية الذاتية 29

معالم الطريق لتفعيل التنمية الذاتية للمجتمعات المحلية 31

منهجية التعامل التنموى مع الموارد المحلية 43

نماذج تطبيقية 47

خاتمة 67

المراجع 69